

حلقة كوبنهاغن ومحاولة إدراج اللسانيات ضمن العلوم التجريدية

جمال بلعربي

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية - الجزائر / الجزائر

d.belarbi@crstdla.dz

تاريخ التسلم: 2019/11/01 تاريخ القبول: 2020/02/13

الملخص:

أتناول في هذا البحث، بالعرض والمناقشة والتدقيق، مشروع النظرية اللسانية التي طرحها مجموعة من الباحثين من بعض الجامعات الدنماركية، مثل كوبنهاغن وأرهوس، باسم "الغلوسيمية". ومتهم بشكل خاص، لويس هيلمسلاف (1899-1965).

تتمحور إشكاليتي أساسا حول السؤال التالي: ما هي أهم المفاهيم والتصورات التي طرحتها الغلوسيمية؟ وفي أي سياق علمي وما هي قيمتها العلمية؟ ثم أتناول بعد ذلك سؤالا فرعيا يتعلق بقراءة الباحث العربي لتلك المفاهيم والتصورات وأهم الصياغات، المتحفظ عليها، المكرسة لدى الدارسين باللغة العربية.

يتمثل الإطار المنهجي لمقاربتني في عملية مسح واستقراء لأدبيات باحثي حلقة كوبنهاغن المهتمين بالغلوسيمية، ومناقشتها في مستوى إبستمولوجي، ثم عرض بعض الأدبيات العربية الشارحة لها ومناقشتها.

الكلمات المفتاحية: غلوسيمية - هيلمسلاف - لسانيات - حلقة كوبنهاغن - نظرية اللغة - بنيوية.

Le Cercle linguistique de Copenhague et la place de la linguistique parmi les sciences formelles

Résumé:

Dans cette recherche, je présenterai le projet de théorie linguistique qui a été proposée par un groupe de chercheurs - notamment Louis Hjelmslev (1899-1965) - appartenant aux universités danoises telles que Copenhague et Aarhus, sous le nom de «Glossématique ». Ma problématique est axée fondamentalement sur cette question : quels sont les termes principaux de cette théorie, dans quel contexte scientifique et quelle est leur valeur théorique et pratique ? Ensuite j'aborderai une question secondaire concernant la réception de cette théorie par les chercheurs et traducteurs d'expression arabophone. La démarche méthodologique de cette approche se limite à l'investissement de la littérature linguistique des chercheurs danois et sa révision sur un plan épistémologique. Par la suite je présenterai et commenterai quelques écrits en langue arabe sur cette théorie.

Mots clés: Glossématique - Hjelmslev - Linguistique - Cercle de Copenhague - Théorie du langage - Structuralisme.

Linguistic Circle of Copenhagen and placing linguistics among formal sciences

Abstract:

In this research, I will present the linguistic theory project that had been developed by a group of researchers - led by Louis Hjelmslev (1899-1965) – from Danish universities like Aarhus and Copenhagen, and that was called “Glossematics”. My problematic turns fundamentally around this question: what are the most pertinent terms of this theory, in which scientific context they had been conceived and what is their theoretical and practical value? Then, I will analyse a secondary question concerning the reception of this theory by Arab researchers and translators. My approach method is limited by the investigation of Danish researchers’ literature under an epistemological eye. Afterwards, I will present and comment some Arabic texts dealing with this theory.

Keywords: Glossematics - Hjelmslev - Linguistics - Copenhagen Circle - Language theory - Structuralism.

مقدمة:

قدم اللساني الدنماركي لويس هيلمسلاف (1899-1965)، مع بعض الباحثين مثل أولدال وفيغو برونال، في إطار النشاط البحثي لحلقة كوبنهاغن اللسانية، في منتصف القرن الماضي، مشروعاً جريئاً من أجل إعادة تأسيس المبحث اللساني في صورة كانوا يعتبرونها أكثر علمية ومناسبة لموضوع اللغة. وطرح هيلمسلاف مع هذا المشروع نظاماً اصطلاحياً خاصاً به. حاول هؤلاء الباحثون أن يجعلوا من مشروعهم بديلاً عن اللسانيات المتأسسة منذ محاضرات دي سوسير؛ لا يلغونها وإنما يعمل على تجاوز كل ما عداها، مع تقديمها في طبعة هيلمسلافية يعتبرها أصحابها أعمق وأقرب إلى العلمية، وأقرب إلى روح الأطروحة السوسيرية نفسها وربما يساعدها على التحرر من سعي العلوم الإنسانية إلى التشبه بالعلوم التجريبية ويؤهلها لدخول صف العلوم التجريدية. وفي هذا السياق ظهر مصطلح الغلوسيمية كمعبر عن التوجه اللساني الذي اشتهرت به حلقة كوبنهاغن وخاصة منذ سنة 1936 وهي سنة احتضانها للمؤتمر العالمي للسانيات. وقد أثار هذا المشروع ومصطلحاته، بما تحمله من مفاهيم وتصورات، مناقشات عديدة وانتقادات وشروحات ومحاولات تطبيقية ذات أهمية خاصة. غير أننا لاحظنا أن ذلك كله كان محكوماً بالسياق العلمي واللساني لتلك الفترة، ومشروطاً بعدد من المنطلقات النظرية الخاصة بها والتي تبلورت وتكرست خلال فترة تميزت بتحول إبستمولوجي عام تميز به الانتقال بين نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، حيث تعرضت العلوم ومناهجها لنقد عميق وفتح الباب واسعاً لمراجعة جميع الأفكار المكرسية.

الإشكالية:

أطرح في هذا البحث مجموعة من الأسئلة تتعلق بالمفاهيم الأساسية للغلوسيمية، من خلال طرقنا للنشاط العلمي لحلقة كوبنهاغن بصفة عامة، ومدى انخراطه في مشروع هيلمسلاف، وأحاول أن أضع تلك المفاهيم في سياقها العلمي، أي أنني سأسأل عن علاقتها بالمفاهيم المكرسة آنذاك وعن مبررات تقديم مصطلحات جديدة أو مصطلحات شائعة في مجال البحث اللساني لكن بتعريفات جديدة، وعن مدى تأثيرها في الفكر اللساني لتلك المرحلة وهل لديها ما يؤهلها فعلاً لتجد مكاناً لها ضمن العلوم التجريدية. ثم أناقش القيمة العلمية النظرية والتطبيقية لتلك المفاهيم وتأثيرها على الفكر اللساني المعاصر ومنهجية البحث في العلوم الإنسانية بصفة عامة. كما سوف أطرح وأناقش سؤالاً فرعياً على درجة من الأهمية بالنسبة للبحث اللساني باللغة العربية، يتعلق بقراءة الباحث باللغة العربية للمفاهيم الغلوسيمية وترجمتها واستثمارها.

العرض:

1. البحث اللساني في حلقة كوبنهاغن

1.1. تأسيس حلقة كوبنهاغن:

تأسست حلقة كوبنهاغن اللسانية سنة 1931 من طرف بعض الأساتذة والباحثين بجامعة كوبنهاغن من أجل أن تكون فضاء نقاش وبحث جديدين حول القضايا اللسانية. وترأسها في البداية فيغو برونال ثم خلفه هيلمسلاف. ولعل اشتراك الاثنين في كتابة مقدمة أول عدد من مجلة الحلقة "Acta Linguistica"

(Hjelmslev & Brndal, 1939)) حول تصورهما لللسانيات البنوية الجديدة هو الذي جعل كثيرا من الباحثين يعتبرون برونالد طرفا في مشروع هيلمسلاف.

بعد ذلك، وفي سياق احتضان جامعة كوبنهاغن للمؤتمر الدولي الرابع لللسانيين، وخلال أشغاله طرحت فكرة مشروع نظرية لسانية جديدة وظهرت الكتابات الأولى المعبرة عنها، في شكل مداخلات ومناقشات إلى كتيب صغير يضم الأفكار الأولية لما سيسعى بعد ذلك بالغلوسيمية، بعنوان Synopsis of an outline of glossematics of يحمل توقيع كل من هيلمسلاف وهانس أولدال.

في تلك الفترة أيضا كانت حلقة براغ، في قلب أوروبا، تثير اهتمام اللسانيين بأطاريحها الجريئة حول الفونولوجيا كأساس علمي تجريبي للسانيات؛ وهو ما كان. في نظر أتباعها على الأقل، يضمن اقترابها من العلوم التجريبية، التحدي الإستيمولوجي الكبير الذي واجهته المعرفة العلمية المتعلقة بالظواهر الإنسانية والاجتماعية في بداية القرن الماضي. ومنذ الكتابات الأولى للمشروع الدنماركي، قام بتوجيه نقد مباشر لأفكار البراغيين وتصوراتهم حول موضوع العلم اللساني ومنهجيته ومصطلحاته. من جهة أخرى كان الباحثون في كوبنهاغن يجتمعون حول التصور البنوي للسانيات ويبحثون لها عن أدوات تفتك لها مكانا بين العلوم التجريبية والدقيقة. لكنهم داخل هذا الإطار كانوا يختلفون في تفاصيل تحقيق ذلك. وكان بعض منهم فقط متحمس للمشروع الهيلمسلافي.

تحاول هذه الحلقة الآن أن تبلور خطا نظريا جديدا يجمع بين أفكار هيلمسلاف واللسانيات العرفانية والنحو الوظيفي وأفكار لسانيين دنماركيين مثل بول ديديركسن، تسميه "النحو الوظيفي الدنماركي".

2.1. نظرية الغلوسيمية:

توجد هذه النظرية في مجموعة من المؤلفات تركها هيلمسلاف، ومؤلف واحد وضعه أولدال، وبعض الدراسات التطبيقية قام بها باحثون مثل الدنماركي كنود توجبي حول اللغة الفرنسية (Togbeby, 1961) والإسباني يوراش حول اللغة الإسبانية (Llorach, 1951) والتونسي مجدوب حول اللغة العربية (مجدوب، 1998). وهي مؤلفات تقترح زاوية نظر جديدة للغة كموضوع للدراسة العلمية ومنهجية مقاربتة.

توجد مفاهيم هذه الأطروحة الجديدة، في صيغة مبسطة، في كتاب هيلمسلاف "حول مبادئ نظرية اللغة" (Hjelmslev, 1943) مع شروحات واستفاضات في مقالات للمؤلف. وتوجد في طبعها المفصلة بتعريفات دقيقة ومجمل الرموز الخاصة بها في "مختصر نظرية اللغة" لهيلمسلاف (Hjelmslev, 1975)، وهو كتاب لم يهتم مؤلفه بنشره في حينه بل تركه في نسخة عمل باللغة الدنماركية تم نشرها بعد وفاته، إلى جانب مجموعة من المحاضرات تحت عنوان "النظام اللغوي والتغير اللغوي" (Hjelmslev, 1976) تركه في شكل مسودة بالدنماركية، تم تنقيحه ونشره بعد وفاته وتمت ترجمته إلى اللغة الإسبانية سنة 1976. يمكن أن يضاف إلى هذه المدونة كتاب أولدال بعنوان "Outline of glossematics" (Uldall, 1957) باعتباره يمثل الإطار الفلسفي والجبري للغلوسيمية.

تقوم هذه النظرية أولا على إعادة النظر في موضوع البحث اللساني على أساس مبدأ المحايثة كمقابل لمبدأ التعالي (هيلمسلاف، 2018، ص 12). أي دراسة للغة في ذاتها وليس من خلال ما يتعلق بها من

الظواهر غير اللغوية على الرغم من كونها مصاحبة للظواهر اللغوية. ولعل الإشارة هنا تتجه مباشرة إلى حلقة براغ التي تعتبر المادة الصوتية، ذات الطبيعة الفيزيائية، ممثلة في النظام الفونولوجي، موضوعاً أساسياً للبحث اللساني. ثانياً، تقوم على مبدأ الإمبيقية (هيلمسلاف، 2018، ص 20) لكن بتصور منطقي لمفهومه، يعني الانسجام الداخلي وليس مطابقة الواقع (هيلمسلاف، 2018، ص 22) كما تتصوره العلوم التجريبية. ويقصد به أن النظرية ومختلف قوانينها ومبرهناتها، ليست في حاجة إلى أن تستمد شرعيتها من مطابقتها لواقع لغوي معين (هيلمسلاف، 2018، ص 21)، بل هي تتعلق بجميع اللغات الموجودة والممكنة التي لا يمكن أن يحصرها أي استقراء مهما كان واسعاً. ثالثاً، يتم تحليل النصوص في إطار البحث اللساني بطريقة جبرية تهدف إلى مباشرة التحليل ومواصلته إلى غاية أصغر عنصر في السلسلة الكلامية يمكن الوصول إليه مع البقاء في حدود البحث اللساني، وهو الغلوسيم. فيستخرج التحليل جميع العلاقات الرابطة بين عناصر النص (هيلمسلاف، 2018، ص 31)، وصياغتها صياغة تجريدية تتخذ صورة دوال (هيلمسلاف، 2018، ص 44). رابعاً، النظر إلى العلامات والسلاسل اللغوية على أنها تكون لغوية عندما تجمع بين شكل التعبير وشكل المضمون، وتتجدد من خصائص خامة التعبير وخامة المضمون، لأن اللسانيات تهتم باللغة باعتبارها شكلاً كما أسس دي سوسير لذلك (De Saussure, 1968 p. 157). وبهذه الأدوات يمكن للغلوسيمية أن تبني نظرية لسانية تشمل جميع اللغات الموجودة والتي وجدت من قبل والممكنة أيضاً. ثم توسع دائرة اهتمامها بمزيد من التجريد لموضوعها فتشمل به جميع الأنساق السيميائية، بما فيها اللغات الطبيعية، التي يمكن أن يستعملها الإنسان للتعبير عن مختلف نشاطات حياته الاجتماعية والنفسية والفكرية في مختلف المجالات (هيلمسلاف، 2018، ص 138).

في الفقرة الموالية سأقتصر على بعض المفاهيم المفاتيح من بين مئات المصطلحات التي يقترحها هيلمسلاف وأولدال. فهي في نظري أساسية في مثل هذا المقام، ومناقشتها تخدم إشكالية البحث.

2. المفاهيم الأساسية للغلوسيمية:

اقترح هيلمسلاف مجموعة من المصطلحات الجديدة في كتابه "حول مبادئ نظرية اللغة" (هيلمسلاف، 2018، ص 141) وفي الوقت نفسه كان قد أعد مخطوط كتابه "ملخص نظرية اللغة" (Hjelmslev, 1975) الذي يحتوي على مجمل مصطلحات الغلوسيمية ورموزها وقواعدها وتعريفاتها. ويتميز هذا الجهاز المفاهيمي في نظره بالانسجام الداخلي وبالانساق المنطقية والرياضية. وقد أثارت هذه التجربة نقاشاً حاداً بين اللسانيين في تلك المرحلة، أي منتصف القرن الماضي، حيث لم يكن البحث اللساني قد انفتح على الاختصاصات التجريدية. غير أن بعضاً من تلك المصطلحات والمفاهيم يتعلق ببناء النظرية اللسانية الجديدة ووضع المرتكزات الأساسية لها. لذلك اخترت أن أتناولها في الفقرات التالية.

1.1.2. الغلوسيم:

لم يأت مفهوم الغلوسيم فقط ليحل محل الفونيم البراغي كاشتقاق اصطلاحي جديد غير مبرر كما يعتقد جاكوبسون (Jakobson, 1963, p. 29). بل هو نتيجة بناء نظري مختلف عن أطروحة

الفونولوجيين. إنه المكون الأساسي للتشكيل اللغوي. وهو أصغر وحدة لسانية يمكن أن يصل إليها التحليل، وبعده سوف يخرج التحليل عن نطاق اللسانيات إلى نطاقات أخرى، لعلها الفيزياء أو غيرها من العلوم. والغلوسيم مكون لساني على خلاف فونيم حلقة براغ الذي ينتهي إلى الخامة الصوتية الفيزيائية للغة. لقد اقترح هيلمسلاف هذا المصطلح لاعتقاده بأن الفونيم لا يمكن أن يكون أصغر وحدة في التحليل اللساني. إنه يعتبر الفونيم موضوعاً للتحليل الفيزيائي، أي لبعض مما يحيط باللغة وليس اللغة في ذاتها كما يرى ديسوسير (De Saussure, 1968, p. 317). بمعنى أن المكون الأصغر للملفوظ اللغوي، أو السلسلة الكلامية، يجب أن يكون مكوناً لغوياً، أي من موضوع العلم وليس من موضوع آخر غير اللغة. ويعرف هيلمسلاف الغلوسيم بأنه الجزيء الذي لا يقبل مزيداً من التحليل الذي يقوم به اللساني بهدف استخراج النسق اللغوي ومكوناته.

من الواضح أن مفهوم الغلوسيم لم يكن واضحاً ولا نهائياً خلال جميع مراحل تطور المشروع الغلوسيمي. ففي المطبوعة التي ظهرت في سنة 1936 لتعلن عن قرب صدور الكتب الأساسية للغلوسيمية يقسم صاحبها النظرية الغلوسيمات إلى نوعين: أحدهما خاص بصعيد التعبير حيث تقوم بتشكيل خامة التعبير وهي الغلوسيمات التي لا تقبل الامتلاء *cenemateme* والأخرى خاصة بصعيد المضمون حيث تقوم بتشكيل خامة المضمون وهي الغلوسيمات التي تقبل الامتلاء *pleremateme* (Hjelmslev & Uldall, n.d).

في كتاب "الملخص" يعرفها كالتالي (Hjelmslev, 1975, p. 100):

Df 183. Glossemes: "are non-signals that are highest-Degree Invariants within a "semiotic

أما في كتاب "حول مبادئ نظرية اللغة" فيعرفها كالتالي (هيلمسلاف، 2018، ص 146): "65- الغلوسيمات: الأشكال الصغرى التي تقودنا النظرية إلى إقامتها كقاعدة للشرح، لا-متنوعات لا تقبل الاختزال".

يساعدنا التعريف الأول على فهم أو تفهم التجريد الذي ينظر به هيلمسلاف إلى هذا المصطلح. وإذا كان لا بد من مقارنة هذا التصور بتصور حلقة براغ للفونيم، يمكن القول بأن الفونيم يختص باللغات الطبيعية الشفهية بينما الغلوسيم يشمل ما صدقاً أوسع يمكن أن يشمل جميع اللغات وجميع الأنساق السيميائية ولذلك لا يمكن أن يرتبط بالخاصية الفونولوجية للغات الطبيعية في صورتها الشفهية. وما يصفه باللامتغير من الدرجة الأعلى في التعريف الأول يصفه في التعريف الثاني بالشكل أو الجزيء الأصغر الذي لا يقبل الاختزال.

2.2. الجبر الغلوسيمي:

هو التحليل اللساني. غير أن تصور التحليل بالنسبة لهيلمسلاف مغاير للتصور الشائع والذي لا يختلف كثيراً عن التقطيع. فإذا كان التقطيع هو فصل بعض مكونات الملفوظ، أو السلسلة الكلامية، عن بعض، فإن الجبر الغلوسيمي يسعى إلى استخراج العلاقات التي تربط بين مكونات السلسلة الكلامية وصياغتها بشكل بصوري مجرد، كما يفعل الجبر عند صياغة العلاقات المجردة الممكنة بين المقادير

(هيلمسلاف، 2018، ص 38). أي في صورة نماذج تجريدية لكل العلاقات الموجودة داخل النسق اللغوي. وهنا يجب أن ننتبه إلى أن الجبر الذي يقصده هيلمسلاف لا يشبه الجبر المعروف في الرياضيات إلا في القيمة الصورية والمجردة التي تتمتع بها العبارات الجبرية الرياضية. فهذه الأخيرة تصاغ في شكل رموز تربطها علاقات معينة وهي صياغة مجردة ويمكن أن تتجسد في أي نوع من القيم العددية أو أية مقادير أخرى مجردة. ولهذا أيضا لا يمكن اعتبار الغلوسيمية لسانيات رياضية ولا مبحثا رياضيا، بل يمكن أن نعتبرها تنتمي إلى فئة العلوم التجريدية، مثل الرياضيات والمنطق، لكن بما يتفق مع الطبيعة الخاصة بموضوعها: اللغة.

بفضل هذا التصور يطرح هيلمسلاف إمكانية إعادة صياغة قواعد النحو وغيرها في أية لغة صياغة جديدة علمية وقيمة تعبر عن العلاقات الحقيقية الموجودة بالفعل بين مكوناتها. سواء أكان ذلك على مستوى النظام الفونولوجي للغة أو المستوى الصوتي للكلام أو المستوى الدلالي والصرفي وغيرها.

3.2. الدالة السيميائية:

يعتبر مفهوم الدالة في النظرية الهيلمسلافية من المفاهيم المفتاحية. ومن البداية يمكن القول بأن هذا المفهوم هو الآخر مستعار من المنطق الرياضي ومن الرياضيات. لكن ليس بمعنى محاولة تطبيق مفهوم رياضي على موضوع غير رياضي. بل بمعنى الاستفادة من الطبيعة التجريدية والصورية للدالة باعتبارها علاقة معينة ممكنة تربط بين عدد من الحدود. ففي هذا المستوى من التجريد يمكن اعتبار الدالة التي يتحدث عنها هيلمسلاف هي نفسها التي نجدها لدى المناطق والرياضيين. غير أن الدالة الرياضية تتعلق بمقادير عددية تعبر عنها رموز ذات معان ثابتة وغير قابلة للتحليل ولا للتقطيع المزدوج ولا لأي نوع من الإيحاء. بينما تتعلق الدالة السيميائية بحدود لغوية بعلاقات بين مكونات النسق اللغوي، ولذلك فهي تختلف في بنيتها وفي عملها عن الدالة الرياضية والمنطقية. ولتبسيط فهم هذا المصطلح يمكن أن نفهمه بمعنى العلاقة اللسانية الرابطة بين مقدارين من طبيعة لسانية. مثل العلاقة بين النعت والمنعوت في اللغة العربية التي تفرض عليهما التطابق في الجنس والعدد، أو العلاقة بين الاسم والخبر وبين عامل النصب وعامل الرفع (الفعل الناقص). فهذه علاقات ثابتة يسعى الجبر الغلوسيمي إلى استخراجها صياغتها بدقة وتصنيفها.

يعرفها في "الملخص" كالتالي (Hjelmslev, 1975, p. 4):

"Df 6. A function" "is a dependence that fulfils the conditions for an analysis"

ويستعمل في "حول مبادئ نظرية اللغة" نفس التعريف: 8- الدالة "ترابط يحقق شروط التحليل" (هيلمسلاف، 2018، ص 142). ويقصد به أية علاقة بين أي طرفين في النص، أو أكثر، تقبل التحليل، أي تقبل تمييز مكوناتها وتحديد نوع تلك العلاقة. مثل علاقات التلازم المتكافئ بين طرفين أو التلازم المشروط من طرف واحد أو التجاور الحر الذي لا يشترط أي من الطرفين بالضرورة حضور الطرف الآخر. ويمكن بكل سهولة أن نستخرج مثل هذه لعلاقات في أية لغة طبيعية، بين الأفعال وضمائرها، وبين النعوت ومنعوتاتها وبين العوامل ومعمولاتها.. إلخ مما يسعى بقواعد النحو. غير أن الدالة لا تحمل خصوصيات أية لغة بعينها بل هي تقدم صيغا مجردة تصف العلاقات الممكنة في أية لغة كانت.

4.2. مبدأ الإمريقية:

بينما كانت البحوث في المجالات الإنسانية تسعى إلى بلورة أدوات ومناهج تمنحها شيئا من الخصائص العلمية لعلها تقرّبها من العلوم التجريبية، اختار هيلمسلاف أن يبحث عن العلمية في صنف آخر من العلوم، غير العلوم الطبيعية، ولكنها علوم أثبتت قيمتها البرهانية والدقيقة، وبذلك رسخت قيمتها العلمية عن جدارة، وهي العلوم التجريدية: الرياضيات والمنطق. واستعار مفهوم الإمريقية، المكرس بمعنى مختلف في العلوم التجريبية، لدى منطقة حلقة فيينا، وذلك لاقتناعه بأن اللغة واللسانيات التي تدرسها، ليست مثل العلوم التجريبية المهتمة بالظواهر الطبيعية. ورأى أنها أقرب إلى العلوم النسقية التجريدية. وأولى بها أن تعتمد على منهج يوافق طبيعتها. ورأى أن مبدأ الإمريقية يتكون من ثلاثة مبادئ هي: مبدأ البساطة، ومبدأ الشمول، ومبدأ عدم التناقض: "يجب على الوصف أن يكون خاليا من التناقض (متسقا مع ذاته)، ويكون شاملا وفي أبسط ما يمكن. ويكون لشرط عدم التناقض الأسبقية على شرط الشمول، وشرط الشمول الأسبقية على شرط البساطة" (هيلمسلاف، 2018، ص 20): بمعنى أن القانون الذي نتوصل إليه أو الدالة التي نتصورها أو التحليل الذي نجريه، يجب أن يحتكم إلى هذه المبادئ، أو أغلبها، لكي نعتبره مقبولا إمريقيا.

لقد ووجه هذا الاختيار بانتقاد لاذع من بعض اللسانيين في منتصف القرن الماضي، لكن نقدهم يرجع إلى غياب البعد المنطقي من قراءتهم للغلوسيمية ومفاهيمها لأن هذا المبدأ كان موضوع نقاش عميق وجاد من طرف الإيستيمولوجيين المهتمين بالأنساق المنطقية، ومن طرف المناطقة الوضعيين، ولم يكن مجرد إسقاط لمعنى على مصطلح قد لا يتحمله.

3. القيمة العلمية النظرية والتطبيقية للمفاهيم الغلوسيمية:

يكاد يكون السؤال عن القيمة العلمية، النظرية وخاصة التطبيقية، لهذه النظرية لصيقا بها منذ ظهورها، على خلاف بقية النظريات والأطرايح اللسانية. وهذا يرجع إلى الدرجة العالية للتحدي الذي رفعتة، فليس من السهل أن تقدم أطروحة تدعي تثوير حقلها المعرفي كله، وتعيد النظر فيه على جميع الأصعدة دون أن تقدم حولا لأهم قضاياها وإشكالياتها تكون في مستوى التحدي. زد على ذلك الشكل الصوري والمضمون التجريدي اللذين جاءت بهما هذه النظرية.

لم تقتصر جرأة الغلوسيمية على إعادة النظر في اللسانيات بل شملت منهجية المباحث الإنسانية كلها. أو هكذا أراد لها مؤسسوها (Uldall, 1957). وكانت في مستوى الجرأة العلمية التي جاءت بها أطروحة نعوم تشومسكي عشر سنوات بعد ذلك (Chomsky, 1957). سواء من حيث "الأسلوب" الرياضي واللغة الرمزية أو التحليل البنيوي الذي سوف ينتقل بالمشروع من الاستثمار المنطقي إلى علوم الحاسوب مع اللسانيات الحاسوبية والعلاج الآلي للغات الطبيعية. وربما سوف يهتم مؤرخو النظريات اللسانية بتفسير الإقبال التطبيقي الكبير الذي تمتعت به أطروحة تشومسكي التجريدية في حين ووجهت أطروحة هيلمسلاف بكثير من التحفظ بسبب نزعتها التجريدية بالذات.

من الناحية النظرية، يمكن القول بأن الغلوسيمية قد خدمت البحث اللساني بذهابها بالأطروحة السوسيرية إلى أبعد ما يمكن أن تصل إليه. وخاصة في البعد الذي أجلته، وهو المتعلق بالسيمولوجيا.

وقدمت في هذا السياق مجموعة من المفاهيم والأدوات التحليلية هي الآن من المفاهيم الدارجة في معاجم السيميائيات وتطبيقاتها. مثلا، التعبير والمضمون وشكل التعبير وشكل المضمون والإيحاء والمحائثة، كقابل للتعالي، واللغة الواصفة والسيميائيات بمختلف درجاتها .. إلخ. كما فتحت للبحث اللساني والسيميائي مجالاً للاستفادة من مخرجات العلوم الصورية.

أما من الناحية التطبيقية فقد جرت بعض محاولات مع كنود توجيبي (Togebly, 1965) ويورانث (Llorach, 1951) وآخرين من أجل استثمار المفاهيم الغلوسيمية في وصف الظواهر اللغوية، في بعض الأحيان من أجل تقديم دراسة شاملة حول لغة معينة، وفي أحيان أخرى من أجل دراسة بعض الظواهر اللغوية العامة. وكانت تلك الدراسات تهدف إلى اختبار مدى قابلية الأطر الغلوسيمية للتطبيق. علما بأن الغلوسيمية، حسب تأكيد هيلمسلاف وأولدال لا تقوم على أساس تأكيد الواقع التجريبي لمقولاتها بل على انسجامها الداخلي (هيلمسلاف، 2018، ص 23) لكن يمكن القول إن تلك الدراسات كانت تتم تحت إكراه معرفي يتمثل في السعي للرد على المشككين في النظرية أكثر من السعي لفهم الظواهر اللغوية موضوع الدراسة. فكانت تغرق في تكريس المعرفة النحوية المتراكمة بدلا من تقديم توصيف جديد للغات يتجاوز ركام المعارف النحوية التي جاءت الغلوسيمية لتحرر البحث اللساني منها. ومع ذلك أعتقد أن باب البحث يبقى مفتوحا للاجتهادات باستعمال الوسائل التكنولوجية الجديدة والمعارف اللسانية المتراكمة خلال ما يقارب القرن للقيام بدراسات يمكن أن تستفيد من الغلوسيمية بشكل أفضل.

كما تجب الإشارة إلى الاهتمام الكبير للباحثين في مجال الفنون، مثل السينما والتشكيل وكذلك الاتصال الإشعاري، بالمفاهيم الغلوسيمية باعتبارها أصبحت الآن من المعارف الشائعة في مجال اللسانيات والسيميائيات بمختلف نظرياتها ومناهجها، وليس باعتبارها مفاهيم غلوسيمية. بمعنى أن النظرية تكاد تكون موجودة فقط في تاريخ الفكر اللساني والسيميائي، لكن عددا من أهم مفاهيمها وتصوراتها المنهجية يتمتع بانتشار رهن كبير خارج إطار نظريته. ولعل هذا من أطراف العلم، فهو لا يعترف بالجدران التي تقيمها النظريات والمذاهب بينها إذ يدفع دائما في اتجاه المناطق المشتركة بينها وهذا ما يحرك تطور المعرفة العلمية ويكتب تاريخها.

4. القراءة العربية لمشروع هيلمسلاف:

جاء اهتمام الباحث العربي بمشروع هيلمسلاف متأخرا ببعض العقود عن مواعده، إذ لم يُترجم له إلا مؤلف واحد إلى العربية وذلك سنة 2018. فالباحث العربي يقرأ عنه فقط في المصنفات وكتب التاريخ اللساني والمعاجم وبعض المداخل المترجمة حول النظريات اللسانية. ولا أعتقد أن لهذا علاقة بخصائص المشروع ولا بقيمته العلمية. بل فقط بسبب تأخر توفره باللغات الأجنبية المستعملة في الأقطار العربية، وهي الإنجليزية والفرنسية بشكل خاص. إضافة إلى تأخر اهتمام الباحثين العرب بالدرس اللساني المعاصر برمته. ويجب أن نفهم سبب هذا التأخر، نسبيا، والذي يرجع في اعتقادي إلى بعض ميزات اللغة العربية. فهي اللغة الوحيدة في التاريخ التي تمتعت ببحث لساني واسع وعميق وذو قيمة علمية غير مسبوقه امتد على أكثر من 12 قرنا. وهو بحث متجذر في الثقافة العربية الإسلامية ويندرج ضمن إبستيمولوجيا ذات طابع عضوي ووظيفي لا تتقبل الفكر الأوروبي، الوافد عليها بقيم

علمية مفارقة، بسهولة وتلقائية. فربما كان على الثقافة العربية أن تحدث قطيعة مفتعلة مع تراثها اللساني، بثمن باهض - وهذا ما حدث بصورة محدودة وجزئية - كي تستوعب النظريات اللسانية الجديدة والمتشكلة في إطار دراسات لغوية حول اللغات الأوروبية؛ وهي لغات لم تكن قد تشكلت، وفي أحسن حالاتها لم تكن قد انتقلت من طابعها اللهجي المحلي والشفوي، عند تأسيس الدرس اللساني العربي ناهيك عن أنها لم تؤسس درسها اللساني الخاص بها إلا قبل قرنين في أحسن تقدير. وفي الفقرات التالية سوف أقتصر على بعض جوانب تلقي الغلوسيمية من طرف الباحثين باللغة العربية أعتقد أنها تخدم إشكالية البحث: خاصة مع وجود بعض الدراسات المخصصة لهذا الموضوع (بن شماني، 2019).

1.4. ترجمة مصطلح الغلوسيمية:

يستعمل هيلمسلاف مصطلح الغلوسيمية في البداية كبديل عن مصطلح اللسانيات. ويقول في كتاباته الأولى إن المصطلحين مترادفان، وإنه استعمله فقط لتفادي الحمولة الدلالية المقترنة بمصطلح "لسانيات" وهي حمولة تشير إلى كثير من الممارسات غير اللسانية والمنسوبة خطأ إلى مجال هذا العلم (هيلمسلاف، 2018، ص 92). وهنا يستعمل عبارة "اللسانيات اللسانية" (Hjelmslev, 1971, p. 31) لتعريف مصطلحه بعد أن كان يتحدث عن "اللسانيات العلمية" (Hjelmslev, 1968, p. 16). غير أنه بعد ذلك يستعمله للإشارة إلى موضوع أوسع من اللغة الطبيعية التي تعالجها اللسانيات. وفي مرحلة ثالثة يستعمله للإشارة إلى نوع من السيميائيات العامة التي تشمل اللغات الطبيعية وغيرها من أنساق التعبير وتشكيل العلامات والتعبير بها.

لقد اقترح بعض الباحثين ترجمة مصطلح Glossematics بكلمة غلوسيمية (بلعربي، 2012). بدلا من قلوسيماتيك (مجدوب، 1998) وجلوسيماتية (بحيري، 2004) وجلوسيماتيك (دراج، 2003) وقلوسيماتيقية وجلوسيماتيقية أو حتى غلوسيماتية. وذلك لخفة كلمة غلوسيمية وتشكلها من الجذر نفسه الذي يشتق منه هيلمسلاف مصطلحه وهو "غلوسيم"، مع إضافة النسبة المؤنثة المعبرة عن الاختصاصات العلمية. وقد يكون من المفيد أن يجتهد بعض المعجميين العرب في البحث في إمكانية اشتقاق المصطلح من كلمة "غلبوم" العربية التي تعني، مما تعنيه، منطقة التقاء آخر اللسان بالحلق. وهي ليست بعيدة في أصلها عن الكلمة الإغريقية التي اشتق منها هيلمسلاف مصطلحه، وهي في الإغريقية تعني اللغة.

2.4. حول بعض الأسئلة الفرعية:

إن أول ما يثير الاهتمام عند دراسة الأدبيات العربية حول هيلمسلاف والغلوسيمية وحلقة كوبنهاغن هو أن تلك الأدبيات، في الغالب، لا تعتمد على النصوص الأصلية لهيلمسلاف وبقية باحثي الحلقة. بل تعتمد على شروح وتلخيصات مكتوبة عادة بالفرنسية أو الإنجليزية في فترات متفاوتة من القرن الماضي على وجه الخصوص. ولم يهتم الباحث باللغة العربية بالجانب التطبيقي لهذا المشروع ولا للنقد الذي واجهه باستثناء جهود عز الدين مجدوب (مجدوب، 1998). كما نلاحظ أن تلقي الباحث باللغة العربية لمفاهيم هيلمسلاف يحيط به كثير من الغموض والتسرع وعدم الدقة. ولذلك نجد من يعتقد أن الغلوسيمية هي لسانيات رياضية، وهذا غير صحيح على الإطلاق. كما نجد من يعتبر فيغو برونالد، أحد

مؤسسي حلقة كوبنهاغن، من مؤسسي الغلوسيمية، وهذا أيضا غير صحيح على الإطلاق. بل إن الاختلاف بين أطروحته وأطروحة هيلمسلاف يكاد يصل إلى درجة التناقض. فمشروع فيغو برونوال يتمحور جوهريا حول الأساس المنطقي، أي المنطق الصوري، للنحو. بينما يتمحور مشروع هيلمسلاف حول الأساس اللغوي للسانيات. ويقتصر اشتراكه مع هيلمسلاف في النشاط داخل حلقة كوبنهاغن على التوقيع الثنائي لافتتاحية أول عدد لمجلة "أكتا لنغويستيكا" *Acta linguistica* (Hjelmslev & Brøndal, 1939) التي أصدرتها الحلقة. وهو نص يعبر عن الضرورة الملحة لتأسيس لسانيات علمية تقطع من الإبيستيمولوجيا السابقة وكل الجهود البحثية اللسانية التي لم تتخذ من اللغة في ذاتها موضوعا لها وكانت تلك اللسانيات في نظرهما بنيوية.

إن أغلب من يعرف الغلوسيم بالعربية يعتمد على تعريف هيلمسلاف الذي يعبر عنه بالكلمة اللاتينية *figuræ*. ويعتبر المترجمون أن هذه الكلمة تقابل كلمة "وجه" في اللغة العربية. لكن هيلمسلاف لم يستعمل هذه الكلمة باللغة الإنجليزية ولا الفرنسية ولا الدنماركية. وتعتمد استعمالها باللاتينية من أجل بعض المعنى الذي في رأيه تعبر عنه اللغة اللاتينية، وتلك الكلمة في هذه الأخيرة تعني "جزء". وهو ما يجري استعماله في العلوم الفيزيائية.

اقترحت كذلك أن يترجم مصطلح *substance* إلى العربية بكلمة "خامة" لأن هيلمسلاف الذي يعتبر اللغة تتكون من مستويين أو صعيدين: صعيد التعبير وصعيد المضمون، ويرى أن كلا منهما يتكون من خامة تتخذ شكلا معينا عندما يلتحم بها الشكل. وهكذا يتحدث عن شكل التعبير وخامة التعبير، وشكل المضمون وخامة المضمون. ولذلك أقترح فهم مصطلح *substance* كما يفهمه الفنانون التشكيليون. إنهم يتخذون من الحجر مثلا خامة - بمعنى مادة قبل التشكيل - يلبسونها شكلا معينا فتننتج عن ذلك منحوتة ذات شكل واضح التفاصيل.

كما فضلت استعمال كلمة "إمبريقي" الشائعة كواحدة من ترجمات مصطلح *empirical* بدلا من الترجمات الأخرى مثل "تجريبي" وذلك لأن هيلمسلاف يستعمل هذا المصطلح بالمعنى المكرس لدى منطقة حلقة فيينا. فالإمبريقية في هذه الحالة، وفي أي نسق منطقي، لا تشير إلى أية مطابقة للواقع الملموس، كما هو الحال في العلوم التجريبية، وإنما تكتفي بالإشارة إلى تحقيق الانسجام الداخلي للبنية الصورية. فالأنساق المنطقية تتأسس في مستوى تجريدي وتبني قضاياها وتحللها بشكل صوري.

3.4. بين اللسانيات الرياضية والجبر الغلوسيمي:

يمثل هذا التعارض واحدة من قضايا التلقي غير الدقيق للأطروحة الغلوسيمية في فضاء البحث اللساني العربي. وهنا لست في حاجة إلى تذكير الباحثين بتعريف اللسانيات الرياضية كمبحث وسيط بين التحليل البنيوي للغة وحوسبة اللغات الطبيعية. وأكتفي بالتأكيد على أن الغلوسيمية ليست نظرية لسانية رياضية. بل على العكس من ذلك يصير هيلمسلاف في عدة مناسبات على أنها لسانيات لسانية ولكنها في نفس الوقت تسعى إلى أن تنبئ بشكل صوري مجرد مثلما تفعل الرياضيات والمنطق الصوري في مجالهما. وحتى عندما يستعمل رموزا تشبه الرموز المستعملة في الرياضيات والمنطق، فهو يضع لها تعريفات خاصة بالنظرية اللسانية ويستعملها في صيغ تتماشى مع خصائص اللغات الطبيعية وليس مع

الأنساق الرمزية المستعملة في الرياضيات والمنطق. إن هذا التمييز بالغ الأهمية بالنسبة لهيلمسلاف من أجل فهم الأطروحة الغلوسيمية والفكر الهيلمسلاف عامة. فهو يؤكد دائما بأنه من غير الممكن أن نطابق بين القيمة اللسانية والقيمة المنطقية أو الرياضية، بل يمكن أن نطابقها مع القيمة الاقتصادية (Hjelmslev, 1971, p. 86). لا يتعلق الأمر هنا بالرياضيات خاصة بدراسة اللغة وظواهرها وإنما بلسانيات ذات إستيمولوجيا خاصة تتعامل مع اللغة بطريقة دقيقة وصورية تجعلها أشبه بالعلوم التجريدية منها بالعلوم التجريبية، وتخرجها من المناهج غير العلمية للمباحث الإنسانية. عندما يستعمل هيلمسلاف وأولدال مصطلح "الجبر" لا يقصدان به المبحث الرياضي الذي يحمل هذا الاسم بل يقصدان الخاصية الصورية والحسابية التي يجب التركيز عليها عند تحليل اللغات ووصف ظواهرها، والعلاقات المجردة الموجودة في الجبر، بمعنى ما، لكن بعد تطبيقها على موضوع اللسانيات وهو غير رياضي وغير منطقي، بل هو موضوع اللغة.

3.4. إعادة اكتشاف الغلوسيمية في الثقافة العربية:

أعيد اكتشاف هيلمسلاف والغلوسيمية في الثقافة اللسانية الأكاديمية العربية مع أول قراءة علمية، نظرية وتطبيقية، قام بها عز الدين مجدوب خلال دراسته للمنوال النحوي العربي (مجدوب، 1998) واعتمد في قراءته على الترجمة الفرنسية الثانية لكتاب "حول مبادئ نظرية اللغة" حيث قام بترجمة مصطلحات الغلوسيمية - وقد اختار ترجمتها إلى قلوسيماتيكا - وقدم ملخصا عن الكتاب المذكور. بعد ذلك تم إعداد أول رسالة جامعية حول هذا الموضوع، في حدود علمي، في جامعة الجزائر 2 سنة 2012 (بلعربي، 2012). كان من نتائجها ترجمة عربية لكتاب Prolegomena to a theory of language بالاستعانة بالترجمة الفرنسية في طبعتهما ومع الرجوع إلى النص الأصلي، نشرت سنة 2018 بعنوان "حول مبادئ نظرية اللغة" (بلعربي، 2018).

وفي الأثناء نفسها كان الباحث العراقي يوسف اسكندر يشتغل على ترجمة وتعريب أدبيات هيلمسلاف والغلوسيمية - وهو يفضل استعمال مصطلح قلوسيماتيكية - نتج عنها ترجمة بعض فصول الكتاب نفسه ونشرها في دورية جامعية، ثم نشر ترجمة كاملة أخرى لكتاب هيلمسلاف بعنوان "مداخل لنظرية اللغة" (اسكندر، 2018). وبعدها أنجز الباحث نفسه ترجمة لكتاب أولدال Outlines of glossematics صدرت سنة 2019 بعنوان "المجمل في الغلوسيماتيقا" (اسكندر، 2019)، إلى جانب عدد من المقالات الأخرى بمشاركة عدد من الباحثين والمترجمين. كما نوقشت رسالة جامعية أخرى بعنوان "النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي قراءة إستيمولوجية" (بن شماني، 2015)، وعدد من المقالات العلمية المتخصصة.

بالإضافة إلى رغبة الباحثين في سد فراغ واضح في المكتبة العربية، يمكن أن تكون هذه التزعة ناتجة كذلك عن البعد الصوري في الغلوسيمية لأن البحث اللساني العربي القديم، في أكثر توجهاته علمية وإجرائية، كان دائما يميل إلى الصورنة والتجريد، وفي الوقت نفسه، وتمشيا مع طبيعة اللغة، كان ينطلق من البعد الميداني للبحث اللساني مثل جمع المدونات من أجل التعقيد، وتصنيف المعاجم على أساس حسابي دقيق مثلما جرى مع معجم العين. ويبقى الآن أن يتم استثمار المادة العلمية للبحوث

الغلويسيمية في بناء اللسانيات العامة ودراسة الظواهر اللغوية من زاوية جديدة قد تعيد إقامة الجسور بين البحث اللساني حول اللغة العربية واللسانيات العامة.

4.4. قراءة عز الدين المجدوب لأطروحة هيلمسلاف:

لعل عز الدين المجدوب أول باحث عربي - ولعله الوحيد أيضا إلى حد الآن - في حدود علمي، تجرأ على قراءة هيلمسلاف في سياق الفكر اللساني المعاصر بغرض استثمار مفاهيمه وتصوراتها في عمل تطبيقي؛ وكان ذلك، كما أسلفت، حول المنوال النحوي العربي. ويعتبر مجدوب أن تصور هيلمسلاف للنظرية العلمية، من حيث تمييزه بين الفرضيات والمنوالات، "يكتسي أهمية كبيرة [...] لأنه يوضح خصائص المنهج العلمي الحديث ويبين ما يميزه من الممارسات العلمية السابقة. فضرورة صياغة فرضيات عامة متناسقة منطقيا فيما بينها توجه الممارسة الميدانية وتؤطرها ثم صياغة منوالات إجرائية تستمد شرعيتها من تلك الفرضيات السابقة تمثل [...] خاصية من أهم الخصائص التي تميز مولد [...] العلوم الحديثة بداية بالعلوم التجريبية" (مجدوب، 1998، ص 58). وقد كان هدفة من "اعتماد هذه الثنائية إقامة تبويب أولي للتراث النحوي العربي يستند إلى خلفية نظرية متينة" (مجدوب، 1998، ص 61).

فنتج عن قراءته للمفاهيم الهيلمسلافية أن التراث النحوي العربي عمل "تجريبي" يعوزه التأطير النظري، وهو ما لم تكن تتحبه إبستيمولوجيا ما قبل العلم الغاليلي (مجدوب، 1998، ص 358). وتتميز هذه قراءة عن غيرها بروح نقدية قد يكون فرضها الاشتغال على النظرية في مستوى إبستيمولوجي، على خلاف التطبيقات الأخرى، عند توجيبي ويوراتش، التي غلب عليها الاشتغال الإمبريقي (التجريبي). ولعل المؤلف حدد منذ البداية مستوى الاشتغال الذي يستند فيه على المفاهيم الغلويسيمية وهو بالتأكيد ليس مستوى الظواهر اللسانية الخاصة باللغة العربية ولم يعمل على استخراج الدوال التي تحكم نسق هذه اللغة وغيرها من النتائج التي تسعى الغلويسيمية إلى بلوغها انطلاقا من النصوص المنتجة بهذه اللغة. بل إنه استفاد من التصور النظري الذي يؤطر مقارنة اللغات بصفة عامة ومن الإطار الإبستيمولوجي المقترح من طرف هيلمسلاف لفهم العلوم بصفة عامة وعلم اللغة بصفة خاصة.

ومع ذلك فقد عمل على دراسة بعض الظواهر اللغوية العربية، في سياق مناقشته للمنوال النحوي العربي المكرس في الأدبيات اللسانية التراثية، من خلال بعض العينات التي ناقشها بعض المؤلفين من اللسانيين العرب قديما. بمعنى أن دراسة المؤلف ليست للظواهر اللغوية وإنما لتوصيفها من طرف النحاة، باستعمال الجهاز المفاهيمي لهيلمسلاف في كتاب "حول مبادئ نظرية اللغة".

خاتمة:

توصلت من هذا البحث إلى مجموعة من النتائج حول النظرية اللسانية المسماة بالغلويسيمية؛ منها ما يتعلق بخصائص النظرية نفسها ومنها ما يتعلق بالعقبات المنهجية والمعرفية التي واجهتها، ومنها كذلك ما يتعلق بتفاعل الباحثين معها.

وأول نتيجة يمكن ذكرها حول موضوع هذا البحث هي أن مشروع هيلمسلاف وأولدال كان يسعى إلى إدراج اللسانيات، في طبيعتها الغلويسيمية، ضمن فئة العلوم التجريدية، أي الأنساق الرياضية والمنطقية مع مراعاة خصوصية اللغة. وذلك على عكس بقية اللسانيين الذين يسعون إلى إضفاء الصفة العلمية

على مجال بحثهم بإدخال عنصر التجريب والتقدير الكمي وبلورة القوانين إلى غير ذلك مما تتميز به العلوم التجريبية. بل إن أولدال كان يرى الغلوسيمية بمثابة رياضيات العلوم الإنسانية ولعل هذا ما يكرسه هيلمسلاف في كتابه "مختصر نظرية اللغة".

توصلت أيضا إلى أن نقطة القوة في هذه النظرية هي نفسها نقطة ضعفها. فالخاصية التجريدية والرمزية في نظر هيلمسلاف وبقية لساني حلقة كوبنهاغن كانت نقطة قوة لصالح الغلوسيمية تضعها في مصاف العلوم التجريدية، على عكس بقية العلوم الإنسانية التي كانت إبيستيمولوجيا نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 تعتبرها أقل علمية من العلوم الطبيعية التجريبية وفي بعض الأحيان تعتبرها من قبيل التعبير الفني الانطباعي الذي لا يرقى إلى مستوى العلم. لكن في الواقع كانت خاصية التجريد عائقا أمام الباحثين المشتغلين في مختلف حقول اللسانيات. وعطلت انتشارها ووضيقت من إمكانية نقلها من مستوى الأطروحة النظرية إلى مستوى البرنامج التطبيقي.

كما أن اتساع موضوع اللسانيات بالنسبة للغلوسيمية، والذي يفترض أنه نقطة قوة، كان هيلمسلاف يتباهى بها، إذ تنتقل به من مجرد نظرية خاصة باللغة الطبيعية ذات التمثيل الشفهي إلى مفهوم اللغة الأكثر تجريدا واتساعا والذي يشمل جميع اللغات الموجودة والممكنة، ثم جميع أنساق التواصل والتعبير، ثم جميع أنساق المعرفة البشرية، فهذا الاتساع نفسه أخرج الغلوسيمية من حدود الدرس اللساني إلى فضاء مفتوح على الدرس السيميائي ثم المنهجي والمنطقي بمعنى ما.

يؤدي هذا إلى الاستنتاج بأن الغلوسيمية خسرت كثيرا من قيمتها العلمية التطبيقية الممكنة بسبب ترددها الإبيستيمولوجي بين أن تكون نظرية أو مشروع نظرية، وأن تكون نظرية لسانية أو منهجية تحليل لساني أو منهجية لجميع العلوم الإنسانية. وبين أن تقيم قطعة مع الفكر اللساني الذي سبقها وفي نفس الوقت تعد ببناء علمي جديد يرفع اللسانيات إلى مصاف العلوم التجريدية، وتقدم منهجا جديدا وجهازا مفاهيميا غير مألوف. وهذا يعني أنها لم تقدم نفسها كنظرية من بين النظريات اللسانية، بل، ورغم إنكار ذلك من طرف هيلمسلاف، تم تقديمها بأسلوب جعلها تبدو وكأنها تلغي كل الفكر اللساني السابق عليها، بينما كانت أدبياتها تستعمل نتاج الفكر اللساني الدارج آنذاك، والمعارف النحوية المتولدة عنه والمكرسة في أغلب الأحيان وتحاول أن تعبر عن مضامينها بطريقة مختلفة، ولعل ذلك من الإكراهات المنهجية في مرحلة بداية كل طرح غير مألوف.

سعت الغلوسيمية إلى الذهاب بمشروع دي سوسير، اللسانيات البنوية، إلى أبعد مدى ممكن، في اتجاه محاكاة موضوع العلم، وفي إبراز القيمة الأساسية لمفهوم الشكل في اللسانيات. وبهذا السعي بينت محدودية المسعى التجريدي الذي يترتب عن مفهوم الشكل وعن محاولة تجريد مفهوم اللغة من أبعاده الذاتية والاجتماعية. وهذا ما أكدته تطور اللسانيات بعد ذلك، فحملت الغلوسيمية نقائص الأطروحة السوسيرية وبعض ثغراتها على الرغم من محاولة هيلمسلاف إعادة إنتاجها في صورة أكثر علمية.

من الصعب أن نجزم في الحكم على القيمة التطبيقية للغلوسيمية نظرا للعدد المحدود من المحاولات التطبيقية، والتي تمت قبل صدور عدد من مؤلفات هيلمسلاف وقبل توفرها مترجمة إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية، ونظرا لعدم وجود أية محاولات تطبيقية على مدونات مختلفة عن اللغات الأوروبية، مثل

اللغة العربية أو العبرية. وأيضاً نظراً للاهتمام الذي تثيره مفاهيم هيلمسلاف في مجال البحوث السيميائية وخاصة المبحث العرفاني إلى غاية الآن. وهو ما يحاول بعض الباحثين القيام به في إطار السيميائيات العرفانية والنحو الدنماركي الوظيفي وغيرهما.

بالنسبة للمتلقى باللغة العربية، يمكن الاستنتاج بأنه لا يتعامل مع النصوص الأصلية، منذ بداية تفاعله مع الفكر، بل يتعامل مع المعرفة المنتجة بلغات أخرى على مرحلتين. الأولى مرحلة الاعتماد على الترجمات والمخصصات والشروح، وهي عادة ما تجعل الفكر الذي تنقله يصل ناقصاً ومشوهاً. والثانية هي مرحلة الاعتماد على النصوص الأصلية ومحاولة نقل الفكر بدرجة من الأمانة العلمية وبروح نقدية، لكن ذلك يحدث بعد تكريس الكثير من الأخطاء العلمية التي يصعب حينئذ تجنبها. لقد حدث الشيء نفسه مع نقل أفكار فوكو ودريدا وتشومسكي وغيرهم إلى اللغة العربية حيث كانت القراءة الأولى لهؤلاء المؤلفين تعتمد على ترجمات إنجليزية لأعمالهم المكتوبة بالفرنسية قبل الاعتماد على ترجمات عربية تمت انطلاقاً من النصوص الأصلية.

لقد أدت هذه الظاهرة إلى اعتبار جميع باحثي ومؤلفي حلقة كوبنهاغن معنيين مباشرة بالغلوسيمية وهذا غير صحيح. وبشكل خاص فيغو برونالد. فبعض الباحثين كانوا من الشركاء في بلورة الغلوسيمية وهم أولدال وبدرجة أقل كنود توجيبي، وبعضهم الآخر من الشراح والمطبقين. ولذلك يحسن بنا أن نفرق بين النشاط البحثي اللساني الذي جرى في إطار الحلقة، وشارك فيه العديد من الباحثين والأساتذة الجامعيين والطلبة والمعلمين بهدف الإسهام في تأسيس جديد لعلم اللغة، وبين الأدبيات المؤسسة للغلوسيمية كجزء من نشاط الحلقة كان يتمتع ببريق خاص.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- اسكندر، يوسف (2019). أبحاث في الغلوسيماتيقا. جامعة الكوفة. الكوفة.
- أولدال، هانس يورغن (2019). المجلد في الغلوسيماتيقا. تر. اسكندر، ي. ط 1. جامعة الكوفة. الكوفة.
- بحيري، سعيد حسن (2004). مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي. ط 1. مؤسسة المختار. القاهرة.
- بلعربي، جمال (2019). "وصف الألسنة وبنية العلامة عند هيلمسلاف شكل التعبير وشكل المضمون". مجلة إشكالات في اللغة والأدب: المجلد 8، العدد 1، ص: 309-321.
- بلعربي، جمال (2012). قراءة في الأسس الإستمولوجية لسيميائية هيلمسلاف من خلال مشروعه التأسيسي حول نظرية اللغة. رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية اللغات والآداب، جامعة الجزائر 2: الجزائر.
- بلعربي، جمال (2019). "رولان بارت يقرأ هيلمسلاف". مجلة "الخطاب": المجلد 14، العدد 1، ص: 159-180.

- بن شماني، محمد (2015). النظرية الغلوسيماتيكية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي مقارنة إبستيمولوجية. رسالة دكتوراه غير منشورة. كلية اللغات، جامعة سيدي بلعباس، سيدي بلعباس.
- دراج، أحمد عبد العزيز (2003). الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية. ط 1. مكتبة الرشد ناشرون. الرياض.
- دي سوسير، فرديناند (2008). محاضرات في علم اللسان العام. تر. قنبي، ع. أفريقيا الشرق. الدار البيضاء.
- مجدوب، عز الدين (1998). المتوال النحوي العربي قراءة لسانية جديدة. ط 1. دار محمد علي للنشر والتوزيع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. سوسة.
- هيلمسلاف، لويس (2018). حول مبادئ نظرية اللغة. تر. بلعربي، ج. ط 1. منشورات ضفاف. بيروت.
- هيلمسلاف، لويس (2018). مداخل لنظرية اللغة. تر. اسكتر، ي. ط 1. جامعة الكوفة. الكوفة.
- باللغة الأجنبية:**
- Llorach, Emilio A. (1951). Gramatica estructural (Segun la escuela de Copenhague y con especial atencion a la lingua espanola). Editorial Gredos. Madrid.
- Hjelmslev, L. (1971). Prolegomena to a theory of language. Minuit. Paris.
- Togeby, Knud (1965). Structure immanente de la langue française. Larousse. Paris.
- Hjelmslev, Louis (1976). Systema linguistico y cambio linguistico. Editorial Gredos. Madrid.
- Hjelmslev, Louis (1975). Résumé of a theory of language. Nordisk Sprog- og Kulturforlag. Copenhagen.
- Hjelmslev & Uldall (n.d). Synopsis of an outline of glossematics. Universitetsforlaget I Aarhus. Aarhus.
- Jakobson, Roman (1963). Essais de linguistique générale. Minuit. Paris.
- Saussure, Ferdinand de (1968). Cours de linguistique générale. Payot. Paris.
- Hjelmslev, Louis (1968). Principes de grammaire générale. Munksgaard. København.
- Hjelmslev, Louis (1971). Essais linguistiques. Minuit. Paris.
- Hjelmslev, Louis (1966). Le langage. Minuit. Paris.
- Uldall, H. Jørgen (1957). Outline of glossematics. Nordisk Sprog- og Kulturforlag. København.
- Chomsky, Noam (1957). Syntactic structures. Mouton. The Hague – Paris.